مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (38) العدد (5)2016
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (38) No. (5) 2016

الحب العقلي لله عنـــد ســـبينوزا

الدكتور محمد شحادة*
عبد الرحمن عبد الابراهيم**

(تاريخ الإيداع 22 / 9 / 2016. قبل للنشر في 19 / 10 / 2016)

□ ملخّص □

أن التصور السبينوزي في خلاصنا ينبع من الحب العقلي لله، وينتج هذا الحب بالضرورة عن طبيعة النفس التي لطالما كان هاجسها الأول هو الغبطة الروحية والتي تجسدت في المنظور العقلي التابع لله من حيث الماهية والوجود، فطبيعة الإنسان التي تهدف إلى معرفة الله بواسطة الأشياء الجزئية كوّنت لديه خيال مستقبلي هادف يجنبه الوقوع في الخطأ، ويصور له الله على هيئة تصور أزلي كما في الرأي السبينوزي هو ما يسميه الحب العقلي لله.

فما نريد أن نتناوله في بحثنا هذا هو الحب العقلي النابع من معرفة الإنسان بالله عند **سبينوزا** والذي يتضمن المقدمة ويتم الحديث فيها عن **سبينوزا** الفيلسوف وماهي أثاره، ويليها موضوع البحث الذي ينقسم بدوره إلى محورين رئيسيّن المحور الأول: نتناول فيه فكرة الله عند **سبينوزا** والذي جعلها مقدمة كتابه الأخلاق وشعور النفس في الحب العقلي الصادر من الله،وكيف تجلت الماهية الإلهية. أما في المحور الثاني: فسوف نتناول فيه فكرة الحب العقلي لله والعلاقة القائمة بين العقل البشري والعقل الإلهي في المنظور السبينوزي.

الكلمات المفتاحية: العقل الإلهي– الحب العقلي لله – الذات الإلهية – فكرة الله – اللامتناهي.

* مدرس - قسم الفلسفة- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة دمشق -سورية.
** طالب دراسات عليا(ماجستير) - قسم الفلسفة- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة دمشق -سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (38) العدد (5)2016
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (38) No. (5) 2016

Mental god love when Spinoza

Dr. Mohammad SHahda*
Abd Alrahman Abd Alabrahim**

(Received 22 / 9 / 2016. Accepted 19 / 10 / 2016)

□ ABSTRACT □

The perception sbanusi in our salvation stems from a mental god of love, the result of this love necessarily about the nature of the soul that for as it was the first obsession is the Spiritual elation exemplified the god of the mental perspective in terms of essence the presence of human nature, which aims to know god through the partial things comte has a futuristic fantasy meaningful protect him making mistakes. And it portrays him in the form of god, conceived as eternal in opinion sbanusi is what he calls the mental love of god.

So what we want to eat in our research this is the mental love emanating from the human knowledge of god when **Spinoza** which includes the and there is talk about the philosopher **Spinoza** and what are the effects and followed by the subject of research, which in turn is divided into two the first main axis: we turn the idea of god whet **Spinoza**, which make introduction to his book of morality and a sense of self in love mental issued by god. And how it manifested divine essence. The second axis: will we take it and the relationship between the human mind and the mind of god in sbanusi perspective.

Keywords: divine mind, mental love of god, divine self, the idea of go,infinite.

*Assistant Professor, Department of Philosophy, Faculty of arts and Humanities, Damascus University, Syria.
**Postgraduate student , Department of Philosophy, Faculty of arts and Humanities, Damascus University, Syria.

مقدمة:

في 24 تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1632م ولد **باروخ سبينوزا** في أمستردام وسط عائلة يهودية من أصل برتغالي، وبعد وفاة والديه راح يدير مؤسسة تجارية تركها ولده بعد موته، وفي 27/تموز 1656 كثرت الخلافات بينه وبين الطائفة اليهودية وصلت إلى محاولة اغتياله فأبعد عنها، فترك المؤسسة التجارية وكان يقتات عيشه من صقل العدسات البصرية، في هذه الأثناء درس اللغة اللاتينية على يد فان دان أندن وهو يسوعي سابق، وما بين عامي 1660 و 1661 ترك **سبينوزا**أمستردام وانتقل إلى فوربورغ وهناك نشر أول كتبه بعد أن كان من أكثر المتأثرين بديكارت فكتب "مبادئ الفلسفة الديكارتية" 1664م، وكان أكثر حديثه في هذا الكتاب عن مسألة الشر.

وفي عام 1665م سافر **سبينوزا** إلى لاهاي ونشر فيها مؤلفاته التي لم تكتب عليها اسم **سبينوزا** لبعد وفاته وهي "**رسالة في اللاهوت والسياسة**"و "**رسالة في إصلاح العقل**" وكتابه الأخير "**علم الأخلاق**" الذي نشر عام 1675م. توفي وعمره لا يتجاوز /44/ عاماً وتوفي بسبب المرض في 21/ شباط/ فبراير 1677م.

أهمية البحث وأهدافه:

أهمية البحث:

تكمن أهمية دراسة هذا البحث في جوانب عديدة كان أهمها تحديد المسار السبينوزي في كمالات الحب التي يجب أن يجدها الإنسان في عقله ويبثها عبر محبته لله بغض النظر عن تخيل هذا الإله، فالخيال هو الفكرة التي تنظر بها النفس على كل الأشياء الحاضرة في الجسم البشري.

من هنا كانت المشكلة التي يريد **سبينوزا** توضيحها في أن الله هو من فعل فعلته بالكون ولكن هل يحب الله نفسه حباً عقلياً لانهائياً، أذاً يترتب على ذلك أن الله من حيث هو محب لذاته من جهة، ومن جهة أخرى محب للبشر فبتالي فإن حب الله للبشر وحبه لذاته أعني الحب العقلي لله هما من المنظور السبينوزي شيء واحد.

أهداف البحث:

تهدف دراستنا هذه إلى توضيح مفهوم **سبينوزا**من خلال ما قدمه بالمنهج الهندسي على انفعالاتنا بأن ما تشعر به النفس من حب عقلي لله لا يمكن أن نفرق بينه وبين الحب الذي يحب به الله نفسه، لا من حيث أنه لامتناهي ولا من حيث هو أزلي، بل من حيث ما تشعر به النفس من حب عقلي لله وهو الجزء اللامتناهي الذي يحب به الله نفسه.

هذا هو الهدف الذي نريد توضيحه في هذا البحث عبر ما جاء به **سبينوزا** من مصادرات وتعريفات أولية ندرك من خلالها تحديد معنى الحب والكراهية المرتبطين باللذة والألم، فالحب العقلي الذي جاء بالمعنى السبينوزي هو لذة مصحوبة بفكرة علة خارجية، بينما الكراهية عكس الحب وهو ألم مصحوب بفكرة علة خارجية، فهل من المعقول أن الحب يتولد عنه الكره، فالهدف من ذلك لا يمكن للرغبة المتولدة من العقل أن تكون مفرطة.

الدراسات السابقة:

1 -دراسة زهير الخويلدي بعنوان:**الحدود الفاضلة بين الدين والسياسة عند سبينوزا.**

2 -دراسة زهير الخويلدي بعنوان:**حضور ميتافيزيقا سبينوزا في فيزياء أينشتاين.**

3 -دراسة زهير الخويلدي بعنوان:**وحدة الوجود عند سبينوزا.**

4 -دراسة صديق القمر بعنوان:**الحب الإلهي لدى باروخ سبينوزا.**

5 -دراسة يوحنا بيداويد بعنوان: **الله في فكر الفيلسوف الهولندي باروخ سبينوزا.**

مصطلحات ومفاهيم البحث:

1 **العقل الإلهي:**"نقول إن فكرة ما تلزم في النفس البشرية عن أفكار موجودة فيها على نحو تام،فإن ما نعنيه هو أنه توجد فكرة في العقل الإلهي، وأن الله هوعلتها، لا باعتبارها لا متناهياً، أو باعتباره متأثراً بأفكار عدد كبير جداً من الأشياء الجزئية، وإنما باعتباره مؤلفاً لماهية النفس البشرية ليس إلا"[1].

2 **الحب العقلي لله:** "ينشأ بالضرورة عن النوع الثالث من المعرفة حب الله العقلي، إذ ينشأ عن هذا النوع من المعرفة فرح مصحوب بفكرة الله كعلة، وإذ تنشأ محبة الله، ليس من حيث تخيلنا له حاضراً وإنما من حيث تصورنا له أزلياً، فذاك هو ما أسميه بالحب العقلي لله"[2].

3 **الذات الإلهية:** "كلما ازداد فهمنا للأشياء الجزئية، ازداد فهمنا للذات الإلهية"[3].

4 **فكرة الله:** "لا يدرك العقل اللامتناهي شيئاً غير صفات الله وأعراضه، ولكن الله واحد، إذاً ففكرة الله، التي ينتج عنها عدد لا محدود من الأشياء بعدد لا محدود من الصور، لا يمكنها أن تكون إلا واحدة"[4].

5 **اللامتناهي:** "أن الله لا متناه إطلاقاً، أي أن طبيعته تنعم بكمال لا نهائي، ويكون ذلك مصحوباً بفكرة ذاته، أعني بفكرة ذاته كعلة، وهو ما أسميناه، بالحب العقلي"[5].

فكرةالله عند سبينوزا:

أن مدلول الله الذي تحدث عنه كثير من الفلاسفة والمفكرين، كان له الأثر الكبير في تحديد جوانب المنهج الرباني الذي نكتشف الحقيقة عن طريقه والذي ينير لنا الطريق، وكون العقل والنفس مخلوقين من الله كما قال البعض فإن حقيقة المعرفة التي تشعر بها النفس تجاه العقل كان من أهم جوانب بحثنا.

ومن هنا كان لابد من الإشارة إلى مدى قدرة النفس على إطاعة العقل وخاصة في الحب الإلهي، فالعقل هو نعمة جليلة تكرم بها الإنسان عن باقي المخلوقات، والنفس هي الفاعلية التي تعطي هذا الإنسان روح الحب والسعادة بدافع عقلي ممزوج بقدرة ربانية على هذا نجد أن العلاقة بين النفس والعقل هي علاقة تفاعلية، فإذا رشد العقل فإن الإنسان يتصرف بالحكمة وتبعاً لذلك فإن النفس تهنئ وتنسر، وبالتالي يكون العقل هو هبة من الله أحب الإنسان وحده من بين المخلوقات فوهبه السعادة الحكيمة أذا كان العقل هو الموجه له، وجعل النفس هي الأداة الناقلة والمسيرة لهذا الجسد الذييحل فيه العقل.

من هنا كانت النفس دائماً بحالة من الحب للوصول إلى الله، ولكن من المنظور السبينوزي كانت هذه المسألة مختلفة إلى حدً ما، فبما أن الصفات الحقة هي حالات من صفات الله، لذلك نجد أن **سبينوزا** جعل أفكار هذه النفس صحيحة أذا ما تم تنسيبها إلى الله، فكل فكرة حقة هي فكرة عائدة إلى الله، من هنا كان هدف **سبينوزا**"**عن طريق منهج التأمل والارتقاء إلى فكرة الله التي هي مبدأ العلم الصحيح**"[6].

هكذا نجد أن **سبينوزا** قريب جداً من أفلاطون حيث يرى أن في الوجود شيئان هما الجوهر والعرض، عن طريقهما نتوصل إلى الحقيقة التي توجد في نفوسنا، فالجوهر يمثل الحقيقة الأبدية، والعرض هي الأشياء الطارئة الزائلة، ولكنهما مرتبطين مع بعضهما البعض وذلك لان كل جزأ من العرض هو نتيجة خلق الجوهر.

---

[1]- سبينوزا، علم الأخلاق، تر: جلال الدين سعيد، المنظمة العربية للترجمة: بيروت، ط1، 2009، ص125.

[2]- المصدر السابق، ص341.

[3]- المصدر السابق، ص336.

[4]- المصدر السابق، ص86.

[5]- المصدر السابق، ص343.

[6]- المصدر السابق، ص15.

لكن من جانب أخر نجد أن **سبينوزا** رفض الاتجاه الذي صرح به اليهود إليه بأنه حلولي، ودليلهم على ذلك التقارب الذي وضعه **سبينوزا**بين الطبيعة المادية والله وقال أنه شيء واحد، لكنهم لا يعرفوا ماذا يعني بشيء واحد، فإذا ما عدنا **لسبينوزا** وجدنا أنه اضاف هذه النظرية على منهجه الهندسي ورأى أن كل الأشياء تتألف من طبيعة الله الخالدة اللانهائية كما ينشأ من طبيعة المثلث أن زواياه الثلاثة تساوي 180درجة.فالله عند **سبينوزا** هو السلسلة السببية التي تقف وراء كل شيء، وهو القاعدة التي تبنى عليها الأشياء وبالتالي فهو قانونها، أي أن القانون الموجود في الكون بالإضافة إلى إرادة الله هما شيء واحد. "**وكلما كانت طبيعة الشيء حاصلة على حقيقة أعظم، كان الشيء أقدر على الوجود، وللموجود اللا متناهي – أو الله – قدرة لا متناهية على الوجود، ومن ثم فهو موجود بالضرورة**"[(1)].

أي أن فكرة الله ضرورة طبيعية في حياتنا، فلو لم يكن الله لاخترعنا إله أخر بنفس الصفات التي خيّلت لنا والتي بها نحصل على حاجاتنا الضرورية، لكن في المقابل هل هذا الإله تتكون لديه المعرفة الكاملة من المعاني والأفكار وهو الذي يقوم بعملية الحركة والسكون الحاصلة لأجسامنا، هنا يجيب **سبينوزا** بقوله: "**أن الله يتصرف بحرية الحركة والسكون والإرادة، إذاً لا تنتمي إلى طبيعة الله أكثر من انتماء الأشياء الطبيعية الأخرى إليها، بل أن نسبتها إليها كنسبة الحركة والسكون وكل الأشياء (....) التي تنتج بالضرورة عن الطبيعة الإلهية المحدودة لوجودها ولإنتاجها معلولاً ما بوجه ما**"[(2)].

فإذا نظرنا إلى **سبينوزا** نظرة محايدة تبين لنا في البداية أنه ملحد يبعد كل ما يحدث لنا من حركات وسكنات ضرورية عن الله ويضيفها إلى الطبيعة فيقول: "**لم يكن بالإمكان أن تنتج الأشياء عن الله بطريقة أخرى وبنظام أخر غير الطريقة والنظام اللذين نتجت بهما**" [(3)]. أي أن كل الأشياء تابعة لطبيعة الله . *فلا توجد عند* ***سبينوزا*** *أية هوة ممكنة بين ماهية الشيء وواقعه، فالواقع هو التعبير الدقيق للماهية، ومن هنا يبدو وضحاً أن الانطولوجيا السبينوزية ترفض التقابل بين واجب الوجود والوجود، وعلى نفس الكمال ونفس الواقع*[(4)].

من هنا نقول أن الجانب الأهم في بحثنا يظهر بفكرة وجود الإله أو عدم وجوده لكن ماذا تعني كلمة الإله في التراث اليهودي الذي عاش فيه **سبينوزا** ولكنه تخلى عنه بطريقته هو بعيداً كل البعد عن ما أرادوه له، على ذلك تكونت فكرة الإله بالمعتقدات التي أبعدت **سبينوزا** عن الطائفة اليهودية وذلك لأنهم اعتقدوا أن الإله كلي المقدرة أو عظيم المقدرة، أو أنه كلي الرحمة والمحبة، أو كلي المعرفة أو عالم بكل شيء، أو كلي الوجود، هنا كانت الآراء متخبطة بفكرة الإله بين فلاسفة اللاهوت في أن يكون الإله موجوداً في كل مكان وزمان، لذلك " **يهتم بعض الناس بافتراض أن الإله كلي المعرفة، ومحيط بكل شيء علماً، لأن هذه الفكرة تمثل في الظاهر مشكلة لحرية الإرادة عند الإنسان. فمثلاً، إذا كان الإله على علم بأنني سوف أختار الشاي بدلاً من القهوة، فهل يعني هذا أن اختياري لم يكن حراً حقاً، وأنه كان نوعاً ما مقدراً سلفاً وخارج نطاق سيطرتي**"[(5)].

فوجود فكرة الله عند **سبينوزا** كانت ضميمة لفكرة الإرادة والحرية الكونية التي أعطت للإنسان دفعة مستقبلية لكي يعرف من هو خالقه، وكيف تم اختيار الله في الكون لكي يكون هو الإله والمسيطر علينا وهو من يحركنا وهو من ينوب عنا أذا أغفلنا عن أنفسنا، ومن جانب أخر من هي هذه القوة المتعالية علينا، "**هل استطاع الموجود البشري يوماً**

---

[1]- كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، د.ت، ص 118.

[2]- سبينوزا، علم الأخلاق، ص66.

[3]- المصدر السابق، ص66.

[4]- سعيد، جلال الدين، فلسفة سبينوزا، مؤسسة عبد الكريم بن عبدا لله للنشر والتوزيع، 1996، ص51.

[5]- باجيني، جوليان، الفلسفة، تر: أديب يوسف شيش، دار التكوين، دمشق، ط1، 2010، ص197.

أن ينفذ إلى أعماق "السر الإلهي" لكي يصف لنا ماهية تلك "الحقيقة المستغلقة" التي طالما ود الصوفية ودعاة وحدة الوجود إن يذيبوا فيها كلاً من "الإنسان" و "العالم"[1].

هذه الحقيقة التي لطالما كانت هاجس الإنسان في معرفة فكرة الله وفكرة وجوده فكانت عند **سبينوزا** مختلفة بالمعنى الظاهري "**فالله أزلي وجميع صفاته أزلية**" [2]، أي أن الله مثله مثل ماهيته وحقيقته أزلية، **فسبينوزا** ربط هذا الإله بفكرنا وقال: *بما أن الفكر يحتوي على فكرة الله فنحن نفترضه متناهياً، لكن من جانب أخر لا يمكننا أن نتصور الفكر متناهياً أن لم يكن محدوداً من الفكر ذاته أي الإنسان*[3]. هنا يظهر لنا عدم تجانس بين الفكر واللامتناهي، وعدم التجانس هذا جعل القلق في حياة الإنسان واضحاً بالخوف من ما يقوم به، "**فلا تنطوي ماهية الأشياء التي ينتجها الله على الوجود**"[4].*فالقلق الذي أدخله**كيركيجارد**[5] بين الله والإنسان في صميم الشعور الديني هو تلك العلاقة التي تقوم في داخل الإنسان بين المتناهي واللامتناهي، بين الزمان والأبدي، بين الخطيئة والفداء، بين الشر والخلاص*[6].

من هنا اتهم كثير من الفلاسفة بالإلحاد على أثر هذا الموضوع في العصر الحديث وعلى رأسهم **سبينوزا** كما اتهم سقراط في العهد القديم، هذا ما قدمه **سبينوزا** عن فكرة الله الأزلي الموجود فينا وفي الطبيعة التي صدرنا منها ويترتب على ذلك أن الله ليس العلة التي تجعل الأشياء تشرع في الوجود فحسب بل هي نفسها العلة التي تجعلها تبقى في الوجود.

الحب العقلي لله عند سبينوزا:

تبدو لنا فلسفة **سبينوزا** من العديد من الزوايا وأولها كإشتقاق مستنبط من الديكارتية، وهي تتجلى بواسطتها الحقيقة الواقعية التي يمكن تسميتها حقيقة أصلية بالإله أو بالطبيعة أو بالجوهر اللامتناهي، ومن ناحية أخرى فإن الأخلاق السبينوزية هي امتداد لتطور الفكر المنهجي الديكارتي الذي أعتبر الفرد متوقف بصورة كاملة على النظام الإلهي، بينما **سبينوزا** يجد أن الإنسان هو عنصر اضطراري ومؤقت من عناصر سير الطبيعة – الإله.

ومن هنا نجد أن الاعتقاد بحرية الإنسان ماهي الإ وهم يتخيله بدون أية فاعلية من الله وهي موجودة في العالم، لكن من أين يصدر قبولنا وحبنا للمواضيع التي نلجئ إليها بدون حريتنا هل من الله نفسه أم من حبنا العقلي الخالص له.

لقد ارتبط مفهوم الحب الإلهي عن **سبينوزا** بمفهوم الكمال في الزيادة والنقصان في الشيء، لا كما نفهم الحب التقليدي لدى البشر، فيجب التفرقة بين العواطف التي توجد في داخل الإنسان والتي تعطيه دفعة إيجابية لكي يحب، وبين الحب الخالص للذات الإلهية ككمال نرتقي فيه إلى مستوى أعلى من العاطفة الإلهية، وبذلك نكون قد حصلنا على عاطفة إلهية لا يعتريها التغير والتبدل، وهنا تتم البهجة والانشراح والفرح وذلك لأنه أرتبط بفكرة الذات الإلهية نفسها،ولقد أطلق **سبينوزا** على هذا الحب أسم الحب العقلي لله.

لقد قسم **سبينوزا** المعرفة إلى ثلاثة أنواع وعن طريقها يتم التوصل إلى الحب العقلي لله، ولقد خصص من هذه الأنواع الثلاثة معرفة خالصة لهذا النوع من الحبوهي المعرفة الحدسية، ويؤكد حقيقة هذا النوع من المعرفة بقوله: "**أن**

---

[1]- ابراهيم، زكريا، مشكلة الإنسان، مكتبة مصر، مصر، ط1، 1959، ص237.

[2]- سبينوزا، علم الأخلاق، ص56.

[3]- المصدر السابق، ص 56 - 57.

[4]- المصدر السابق، ص59.

[5]- سورين كيركيجارد: (1813 – 1855م) فيلسوف ولاهوتي دنماركي كبير، كان لفلسفته تأثير على الفلسفات الوجودية المؤمنة ومن اهم مؤلفاته (مفهوم التهكم – أما،أو – التكرار – مفهوم القلق – المرض حتى الموت).

[6]- ابراهيم، زكريا، الفلسفة الوجودية، دار المعارف، القاهرة، 1956، ص45.

الحب العقلي لله الذي ينشأ عن النوع الثالث من المعرفة، حب أزلي" [1]. فكل ما أراده **سبينوزا** من هذا الموضوعأن يميز بين العقل والعاطفة، لذلك يجب علينا محاربة العواطف الهوجاء التي لا تقوم على العقل، فكل ما يعمله الإنسان يكون مبنياً على أساس من التفكير العقلي، لا على المشاعر والعواطف وهنا يكون العمل الفاضل في رأي **سبينوزا**.

وهنا يربط **سبينوزا**الحب العقلي لله بحب الله لنفسه بحيث تكون حب واحد بين الأثنين ويقول: "**إن ما تشعر به النفس من حب عقلي لله لا تختلف عن الحب الذي يحب به الله نفسه، لا من حيث لا متناه، وإنما من حيث أنه يمكن تفسيره بماهية النفس البشرية منظوراً إليها من جهة الأزل، بمعنى أن ما تشعر به النفس من حب عقلي لله هو جزء من الحب اللامتناهي الذي يحب به الله نفسه** "[2].لكن من جانب أخر نجد أن **سبينوزا** يؤكد دائماً أن الله لاينفعل ولا توجد لديه انفعالات، وهو غير متأثر بالعواطف التي تقود إلى اللذة ومنها ما يقود إلى الألم، فلكييتمكن الإنسان من تحقيق ذلك الحب عليه أن يتحلى بكل الصفات التي يتصف بها الله نفسه. ففي اللحظة التي يبدأ فيها الإنسان في الاعتقاد بأنه خلع عن نفسه هذه الأمور،ووصل من خلالها إلى الحب العقلي، وهنا يتبين أن الله، لم يرجع كل ما يحصل على الطبيعة، وإنما رفعت الطبيعة إلى مرتبة الله، وقد كان سبينوزا مؤمن بأن العقل البشري توجد فيه حقيقة الأزلية، لكنه استحال التوفيق بين أزلية العقل البشري وبين العلاقة القائمة بين النفس والجسم [3].إذاً نجد أن العقل البشري يمكن أن يكون أزلياً والدليل على ذلك أن الله أزلي، فالأزلية بين العقل البشري وبين الله تكون في حالة واحدة إلا وهي الحب العقلي لله.

لقد أكد **سبينوزا** من ناحية الطبيعة أن هناك ارتباط وثيق بينها وبين المعارف التي توصلنا إلى الحب الإلهي والتي أقرها فيلسوفنا بأنواعها الثلاث فلكي نتمكن من معرفة الله وجب علينا التعلق بالذات الإلهية وهي:

1 ـ معرفة نكوّنها من الأشياء الخاصة بواسطة حواسنا، وهي معرفة الأشياء الجزئية ويسميها المعرفة السماعية.

2 ـ معرفة مستمدة من التجربة، تكون الأفكار فيها مشتركة بين الناس جميعاً، وأفكار كافية عن خصائص الأشياء، ويسميها المعرفة العقلية.

3 ـ وهي المعرفة التي ننتقل فيها من فكرة كافية إلى ماهية مطلقة لبعض صفات الله، ومن ثم إلى المعرفة الكاملة والكافية لماهية *الأشياء،ويسميها المعرفة الحدسية* [4].

هذه المعارف الثلاث هي التي كوّنت الحب العقلي لله، وذلك بوضعها في الطبيعة، فمن المؤكد أن كل ما في الطبيعة من معارف موجودة في الله، لكن درجات معرفتنا بها تختلف بحسب اختلاف درجات علاقتنا بالله بالزيادة والنقصانفكل موجودات الطبيعة تحتوي على فكرة الله وتعبر عنها حسب درجاتها في الماهية والكمال، فمن الطبيعي كلما ازدادت معرفتنا بالأشياء في الطبيعة، كانت المعرفة التي نحصل عليها بالله أعظم وأكمل.

فهنا نجد أن **سبينوزا** وضع الإنسان في موضع مقابل بينه وبين معرفة الحب الإلهي من جهة، وبينه وبين الطبيعة من جهة ثانية، وحتّم عليه معرفة الطبيعة وما فيها من أشياء خارجية وعن طريقها يتم معرفتنا لله فيرى **سبينوزا** بأن حكم الله "**هو نظام الطبيعة الثابت الذي لا يتغير، أو تسلسل الموجودات الطبيعية، وذلك لأن قوانين الطبيعة الشاملة هي مشيئة الله الأبدية**"[5]."**فكل شيء موجود في الله، ولا يمكن لأي شيء أن يوجد أو يتصور بدون الله**"[6].

---

[1]- سبينوزا، علم الأخلاق، ص342.

[2]- المصدر السابق، ص343.

[3]- زكريا، فؤاد، سبينوزا، دار التنوير: بيروت، 1981، ص155.

[4]- سبينوزا، رسالة في إصلاح العقل، تر: جلال الدين سعيد، دار الجنوب، تونس، 1996، ص 34 – 35.

[5]- سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، تر: حسن حنفي، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1981، ص194.

الله"[1]. فبما أن الله هو القانون الثابت للكون فوجود الأشياء المحيطة بالكون وجدت فيه، ولا يمكن أن تكون بغيره، لذلك كان الحب الصادر عن البشر تجاه الله هو حب مصلحة من أجل جلب الخير وإبعاد الشر، لذلك يرى بعضهم أن الله علة حرة لأنه يستطيع وحسب اعتقادهم، أن يجعل الأشياء ناتجة عن الطبيعة وهي ليست ناتجة عنه، هذا المنظور لا يليق بالفكر السبينوزي "**فليس الله العلة الفاعلة لوجود الأشياء فحسب، بل هو العلة الفاعلة لماهيتها أيضاً**"[2]. فلا شك أن الإنسان يكون حراً ومنسجماً مع نفسه بقدر عشقه لربه وتعبده له بنفس طاهرة زكية، فالله خلقه من لدن الطبيعة وأصبح هذا المخلوق علة الطبيعةويترتب على ذلك أن الله، من حيث هو محب لذاته، فهو يحب البشر، وبالتالي فإن حب الله للبشر وحب النفس العقلي لله لا يمكن أن يكونان الإ شيء واحد لا غير[3]، إذاً "**لا يوجد في الطبيعة أي شيء مناقض لهذا الحب العقلي، أي قادر على أبطاله**"[4].

وعليه تكون العلاقة القائمة بين الله والإنسان موجودة في الطبيعة "**والطبيعة خاضعة لقوانين كلية وأننا جزأ من هذه الطبيعة**"[5]وهي التي تعزز مدى تعلق الإنسان بالله، فإذا كانت النفس موضع راحة وبهجة تقربت من الله بحب عقلي بعيد عن بهجتها التي حصلت لها، أي بعيداً عن الانفعالات التي تكونت فيها، وعلاوة على ذلك، فبقدر ما تنشرح النفس بهذا الحب الإلهي، تزداد معرفتها بالانفعالات، وهنا يستطيع الإنسان كبح انفعالاته بواسطة الفهم أو بمعنى أخر بواسطة المعرفة ونخص بها كما ذكرنا المعرفة الحدسية. "**والمعرفة عند سبينوزا حال من صفاء الذهن يوصل إليها بتصحيح الفهم تصحيحاً يعتمد على تخليصه من الأفكار الغامضة المبهمة التي تنشأ عن الخيال والإدراك الحسي**"[6].وقد ركز **سبينوزا** على الإرتقاء والفهم وكانت غايته في ذلك نهوض الفرد إلى تحقيق معرفة أكبر بالمسائل الدينية من أجل بلوغ محبة الله له حيث قال: "**أن الذهن بفضل قدرته الفطرية يصنع لنفسه أدوات فكرية يكتسب عن طريقها القوة التي تساعده على أداء العمليات الفكرية الأخرى، وتساعد هذه العمليات على زيادة القوة الدافعة في البحث على ماهو أبعد وبذلك يتحقق تقدم تدريجي يسفر عن بلوغه قمة الحكمة**" [7].ففكرة الحب العقلي لله عند **سبينوزا** شاملة بكل حياة الإنسان، وكل فلسفته تبحث في معنى الفكر الإلهي، والدليل أن فهم كل الأشياء يعني في المقابل فهم الله، فإذا صح هذا الفهم يجب علينا إدراك الحب الذي يقدمه الله لنا بدون أي مقابل.

خـاتمـة:

وهنا نكون قد حصرنا مفهوم فكرة الله والحب العقلي لله عند **سبينوزا** بربط الحب العقلي لله، بالطبيعة التي أنتجها الله، ويتضح لنا مما سلف ليس على الإنسان أن يتخلى عن ماهيته أو أن يتجاوز طبيعته الإنسانية، فبقدر ما يسعى لذلك فهو يقوم بتجاوز وجوده والقضاء على هويته، لذلك يجب التحلي بالعقل والفضيلة ومنها يتم معرفة الله وهذا ليس بإخماد المرء عاطفته وانفعالاته وقمعها، بل أن يعيش كل إنسان وفقاً للقوانين الطبيعية الخاصة به منفرداً عن غيره

---

[1]- سبينوزا، علم الأخلاق، ص45.

[2]- المصدر السابق، ص59.

[3]- المصدر السابق، ص344.

[4]- المصدر السابق، ص345.

[5]- كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ت. ص121.

[6]- نجيب محمود، زكي، الموسوعة الفلسفية المختصرة، دار القلم: بيروت، د.ت. ص 251.

[7]- شاخت، ريتشارد، رواد الفلسفة الحديثة (من ديكارت إلى كانط)، تر: احمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993. ص88.

والسبب في ذلك يكون الحب العقلي لله لأن المحايثة تجعل البشر في حالة عداء لنفسهم قبل أن يعرفوا ماهو السبب في هذا العداء، فإذا طلبنا من الإنسان أن يتجرد من طبيعته وأن يتحلى بطبيعة أرقى من طبيعته نكون قد ظلمنا الطبيعة التي خلقته فالحصان خلقته الطبيعة على هذا القرار فمن غير الممكن أن يصبح أسد ويعيش حسب قوانينه، وذلك لان الحسن والكمال بالنسبة إلى الحصان تعطيه طبيعته بحب نفسه بعيداً عن العيش بمقتضى غيره.

ومن هذا المنطلق يبدو أن **سبينوزا** حاول تعويض الحب الذي تولّده انفعالاتنا إلى الحب الذي يشع منه كل أنواع الحب يبدأ من الإنسان بالعقل ويتجه نحو الطبيعة وذلك لأن الإنسان جزء منها فهو يحبها ولا يمكن أن يوجد بدون عواطفه الطبيعية، بحيث يجد كل فرد نفسه، على حد تعبير سبينوزا منقاداً على الدوام وبالضرورة وراء عواطفه، وتابعاً لنظام الطبيعة العام، وخاضعاً له ومتكيفاً معه حسب ما تقتضيه طبيعة الأشياء.هذا ما يجعلنا نفهم أن **سبينوزا** كان من المستمتعين بالنوع الثالث من المعارف التي أقرها وهو المعرفة الحدسية، وكانت أرائه متجمعة بالنضج العقلي الذي وصل إليه الإنسان وبالوعي الشديدبعلاقة الإله وأنفسنا، ويتحدث عن كمالنا وغبطتنا تجاه هذه العلاقة بالحب العقلي إذا استطعت تكوين المفهوم العام عن الله.

المصادر والمراجع:

1. ابراهيم، زكريا، *مشكلة الإنسان*، مكتبة مصر :مصر،ط1، 1959.
2. ابراهيم، زكريا، *الفلسفة الوجودية*، دار المعارف: القاهرة، 1956.
3. باجيني،جوليان، *الفلسفة*، تر: أديب يوسف شيش، دار التكوين:دمشق،ط1، 2010.
4. زكريا، فؤاد، *سبينوزا*، دار التنوير: بيروت، 1981.
5. سبينوزا، *رسالة في إصلاح العقل*، تر: جلال الدين سعيد، دار الجنوب: تونس، 1966.
6. سبينوزا، *رسالة في اللاهوت والسياسة* ، تر: حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا، مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة1981.
7. سبينوزا، *علم الأخلاق*، تر: جلال الدين سعيد، مراجعة: جورج كتورة، المنظمة العربية للترجمة: بيروت، ط1، 2009.
8. سعيد،جلال الدين، *فلسفة سبينوزا*، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، 1996.
9. شاخت، ريتشارد، *رواد الفلسفة الحديثة (من ديكارت إلى كانط)*، تر: أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993.
10. كرم، يوسف، *تاريخ الفلسفة الحديثة*، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ت.

11. نجيب محمود، زكي، *الموسوعة الفلسفية المختصرة*، دار القلم: بيروت، د.ت.